عالم المولد

٢
١٩٨٢

مجلة تراثية فصلية

WWW.ATTAWEEL.COM

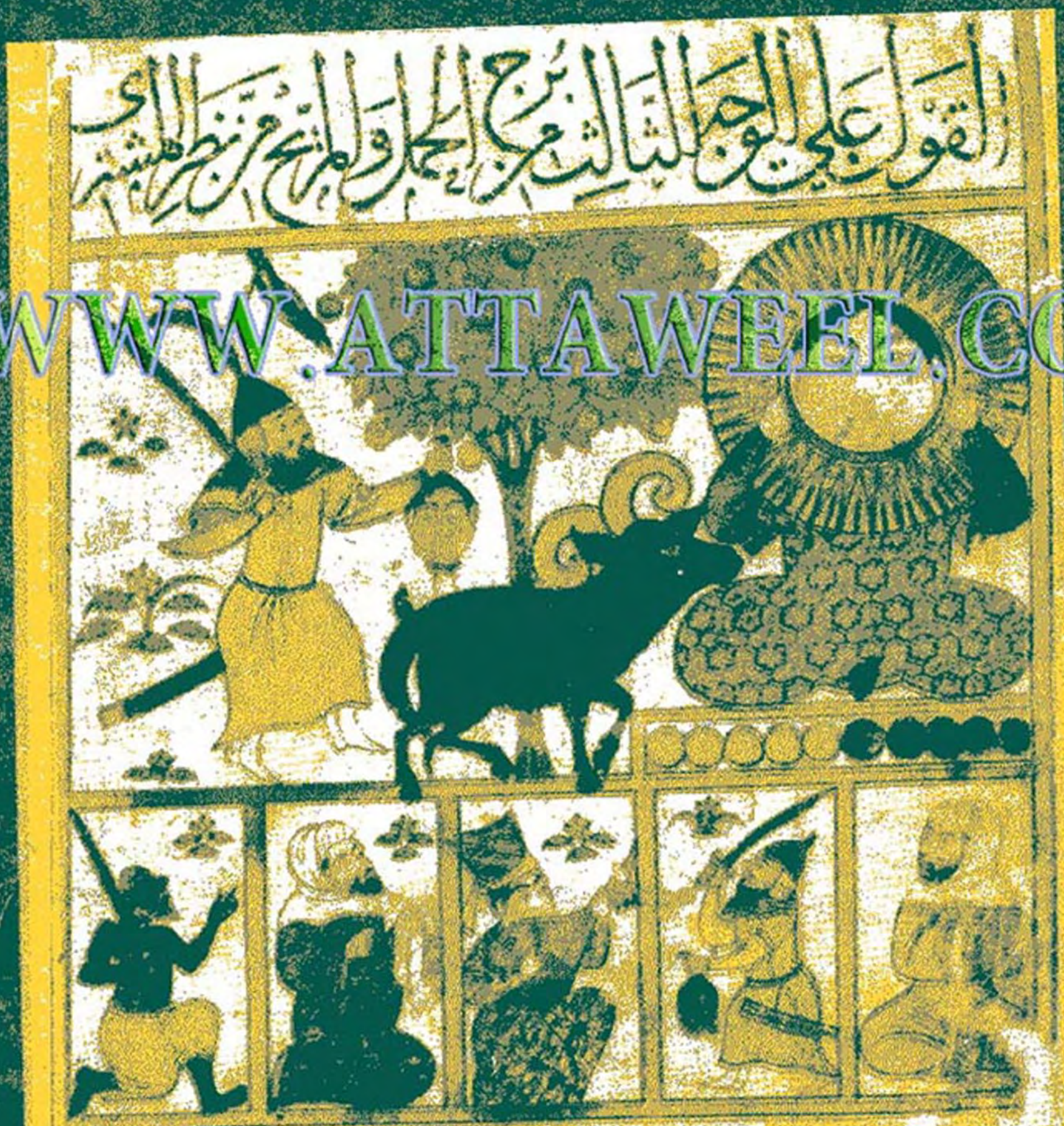

ملاحظات حول كتاب الناسخ والمنسوخ

في كتـــاب الله تعالـــى

عن قتادة بن دعامة السدوسي

اللذي حققه الدكتور حاتم صالح الضامن ونشره في مجلة
المورد ـ المجلد التاسع ـ العدد الرابع ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م
العدد الخاص بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري

بقلـــم

قحطان عبد الرحمن الدوري

كلية الآداب ـ جامعة بغـداد

عرفت الدكتور حاتم الضامن رجلا متتبعـــا دؤوبا حريصا على نشر التراث العظيم ، مراجعـا الكثير من المصادر ، وقد نشر نصوصا كثيرة ، ابان فيها عن نفس طويل في التحقيق ، ونيّة صادقة في خدمته . ومع ذلك : فاني الاحظ على نص الناسخ والمنسوخ عن قتادة وعلى مقدمته مايأتي :

(١) في الصفحة ٤٨٥ من المجلة المذكورة ، وتحت عنوان (تجريحه) قال :

« ومع غزارة علمه وقوة حفظه لم يسلم من التجريح فقداتهم بالتدليس » .

ونقل بعض النصوص التي تذكر ان قتادة كان مدلسا .

واجتزا من عبارة الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/٣٨٥ (حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس) .

ومن تذكرة الحفاظ للذهبي ص ١٢٣ (وكان قتادة معروفا بالتدليس) . ونقل عبارة الخزرجي (احد الائمة الأعلام حافظ ودلّس ، وقد احتج به ارباب الصحاح) .

اقول : هذا الكلام يحتاج الى تحرير . فهذه الاقوال من الذهبي محتاجة الى تكملتها من الكتب المشار اليها . ففي ميزان الاعتدال بعد العبارة المنقولة آنفا : (ورمي بالقدر ، قال يحيى بن معين ؛ ومع هذا فاحتج به اصحاب الصحاح ، لاسيما اذا قال : حدثنا) .

وقال في تذكرة الحفاظ ، في نهاية كلامه ، بعد ان ذكر قوله بالقدر (قلت : ومع هذا الاعتقاد الرديء ما تاخر احد عن الاحتجاج بحديثه سامحه الله) .

وقد نقل الدكتور حاتم عبارة التذكرة هذه ، وجعلها تحت عنوان (مذهبه) ـ فعبارتا الميزان والتذكرة هذه يجدر بالدكتور حاتم ان يذكرهما ؛ كي يتلاءم معها قول الخزرجي وما نقله ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٥٥ .

ثم ان الناظر في ماكتبه الدكتور حاتم انه مجروح ، قد يرى انه متعارض مع قول الخزرجي وغيره (احتج به ارباب الصحاح) .

والحق : ان في التدليس تفصيلا يذكـــره المحدثون (انظره في شرح النبصرة والتذكرة ج ١ ص ١٧٩ ومقدمة ابن الصلاح ص ١٦٥) ، وفيهما : ان من التدليس مالا يجرح ، وذلك اذا كان المدلس ثقة ، لان التدليس ليس كذبا وانما هو ضرب من الايهمام بلفظ محتمل . ومن المتفق عليه ان قتادة ثقة ، فاذا كان مدلسا ؛ فليس ذلك يجرح فيه . ثم ان الدكتور حاتم اجتزأ بالهامش في تعريف المدلس من تعريفات الجرجاني ؛ القسم الاول منه وهو تدليس الاسناد ؛ وجعله تعريفا للتدليس عموما . وليس ذلـــك

WWW.ATTAWEIL.COM

بصواب ، وكان الاولى به أن يأتي بتعريف التدليس بنوعيه : تدليس الاسناد وتدليس الشيوخ ؛ الذي استقاه الجرجاني من ابن الصلاح .

(٢) في الصفحة ٤٨٥ تحت عنوان (توثيقه) : ونق الكتاب من ابن سلامة والزركشي ، ونقل عن ابن سلامة ان راوي الكتاب عن قتادة هو سعيد بن ابي عروبة ، وهو اثبت الناس رواية عن قتادة .

وقال بعد ذلك : (ومما قطع الشك في نسبة الكتاب الى قتادة هذه النقول الكثيرة من النحاس ومكي والطبري والواحدي انني تطابق ماجاء في كتابنا) . لكن الدكتور حاتم حفظه الله ناقض ذلك التوثيق الذي قطع به الشك ؛ فقال : (الا انني في الحقيقة استبعد ان يكون قتادة قد الف كتابا في الناسخ والمنسوخ) واحتج على ذلك : بان تصنيف الكتب بدأ في منتصف القرن الثاني ؛ بدلالة قول الامام احمد بن حنبل في ابن جريج : (كان من اوعية العلم ، وهو وابن ابي عروبة اول من صنف الكتب) . وابن جريج توفى سنة ١٥٠ هـ وابن أبي عروبة توفي سنة ١٥٦ هـ ؛ ونحوه قول الذهبي في ابن عروبة .

اقول : الاستبعاد المذكور ليس في محله ، لما يأتي :

ا ـ ان قتادة كان ضريراً ، فليس المقصود بتأليفه الكتاب هو الكتابة بالمعنى المتعارف عليه الآن ؛ بل المقصود هو انه جمع مواد هذا الموضوع في ذهنه ، واملاها املاء على تلاميذه .

ب ـ قالوا : للحسن البصري (ت سنة ١١٠ هـ) تفسير رواه عنه جماعة \ طبقات المفسرين للداودي جـ ١ ص ١٤٧ . ولمجاهد (ت سنة ١٠١ هـ) تفسير رواه شبل بن عباد المالكي \ طبقات المفسرين للداودي جـ ٢ ص ٣٠٨ ، وهو مطبوع .

وقالوا : اول كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد ابن جبير (ت سنة ٩٥هـ) . / تاريخ التفسير للسيد قاسم ص٥٣ . وهناك نقول كثيرة تشير الى ان للمتقدمين قبل سنة ١٥٠ هـ كتبا تناقلها من بعدهم . فلا موجب لاستبعاد ان يكون قتادة قد الف كتابا . وعليه : فيحمل قول الامام احمد على ان سعيد بن أبي عروبة من اول من الف ، او على انه (الف) بمعنى التدوين بالمعنى المعروف . كما ان القول بأن تصنيف الكتب بدأ في منتصف القرن الثاني محمول على الغالب ، والا فان من المقطوع به : ان التصنيف قد بدأ قبل هذا الوقت . وعاد الدكتور حاتم اخيراً فقال : (نخلص من هذا ـ وان كان الكلام الاول لايؤدي الى هذا الاستخلاص ـ الى أن ابن أبي عروبة دون ماسمع من قتادة في الناسخ والمنسوخ ، ثم ذكرت تلك المرويات على انها كتب ...) . والذي أراه : ان قتادة كان ضريراً ، جمع الناسخ والمنسوخ بذهنه ، واملاه على سعيد وغيره من التلاميذ ، وسمي جمعه كتابا .

(٣) في الصفحة ٤٨٥ تحت عنوان (توثيقه) :

نقل الدكتور حاتم عن ابن سلامة ان راوي الكتاب هو سعيد بن ابي عروبة ، وهو اثبت الناس رواية عن قتادة . لكن النص الذي حققه هو من رواية همام بن يحيى العوذي عن قتادة وغيره ، ولم يبين الدكتور ذلك في الدراسة التي قدمها لهذا النص . وهمام وسعيد كلاهما ثبت في شيخهما قتادة .

ثم ان هماما ثبت في كل المشائخ كما قال صالح ابن احمد عن ابيه . وكان ابن مهدي يقول : همام عندي في الصدق مثل ابن ابي عروبة . وقال ابن معين : همام ثقة صالح ، وهو احب اليّ في قتادة من حماد بن سلمة . وقال ابن معين ايضا : همام في قتادة احب اليّ من ابي عوانة ... الخ من الاقوال المديدة . ووثقه الكثيرون . / انظر ذلك في تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ٦٨ .

والذي يبدو لي : ان هذا النص المحقق هو من تأليف همام بن يحيى ، وليس لقتادة ، بدليل :

ا ـ نقل فيه همام بعض اقوال لشيخه قتادة ، ويحتمل أنه نقل الذي سمعه منه ، ونقل معه : عن ابي عبدالله وعن الكلبي . ففي ص ٤٩٨ حدثنا همام ، رجل يقال له ابو عبدالله ، قال : سمعت السدي يقول ...

وفي ص ٤٩٩ حدثنا همام عن الكلبي ...

وفي ص ٥٠٢ حدثنا همام عن الكلبي عن ابي صالح وسعيد بن جبير .

وفي ص ٥٠٣ حدثنا همام عن الكلبي عن ابي صالح .

وفي ص ٥٠٣ حدثنا همام عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس .

وفي ص ٥٠٣ حدثنا همام قال سئل الكلبي عن قوله عزوجل ...

ب ـ لقتادة اقوال في الناسخ والمنسوخ من رواية سعيد بن أبي عروبة ومعمر ، لم يرد ذكرها في النص المحقق . انظر لذلك مثلا : مانقله سعيد عن قتادة في كتاب الناسخ والمنسوخ للنحاس

في الصفحات ٢٢و٦٧و٧٨و١٧٩و٢١٨ . وما نقله معمر عن قتادة في الناسخ والمنسوخ للنحاس في صفحة ٢٢١ . وما نقله ابن خزيمة الفارسي في كتابه الموجز في الناسخ والمنسوخ ص ٢٧٢ عن قتادة . وهذا يدل على ان كتاب الناسخ والمنسوخ هذا ليس لقتادة ؛ اذ لو كان له لكانت فيه هذه الآراء التي رواها سعيد ومعمر وغيرهما عن قتادة ، ويدل على انه من تاليف همام بن يحيى الذي ضمّ فيه بعض آراء قتادة ، او التي سمعها منه فقط .

جـ ـ مما يؤيد ماذهبت اليه ان عنوان المخطوط هو (الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى عن قتادة بن دعامة) ولم يرد فيه انه من تاليف قتادة . فالمخطوط في الحقيقة بعض روايات عن قتادة نقلها همام ، ونقل معها روايات اخرى .

والذي ارى ان سبب وقوع الدكتور حاتم في ماذكرت وهو اعتماده مخطوطة واحدة حديثة ناقصة الآخر . وكان الاولى في تحقيق هذه النسخة الوحيدة لديه ، ان يعود الى كتب التفسير ونحوها لجرد اقوال قتادة ، او ارجاء تحقيقها الى حين عثوره على نسخة اخرى .

هذا وان جهد الدكتور حاتم في ضبط النص واضح ، حين رجع الى المصادر العديدة ، ليوثق كل فقرة من فقراته ، وهو عمل تقتضيه الدقة في تحقيق النصوص ، وان اهمل الكثير لما فيه من عناء . كما ان جهده لاينكر في احصائه المؤلفين في الناسخ والمنسوخ وهو اول احصاء شامل ـ فيما اعلم ـ بلغ ٧١ مصنفا .

واخيرا : اتمنى للدكتور حاتم الضامن كل خير وتوفيق ، وما دفعني الى ذكر هذه الملاحظات الا الحرص على هذا النص وعلى محققه ، ولا اريد بذلك ان اجرحه ، ان اريد الا التبيان ، والله ولي التوفيق .

WWW.ATTAWEEL.COM